

تراطية الحوار في قصص الأطفال
- دراسة في قصة الغياب المفاجئ -

*Pragmatic Dialogue in Children's Stories -the Story of Sudden
Absence as a Case Study-*

حمزة لكحل *

جامعة الحاج لخضر باتنة/ الجزائر

hamza.lakhal@univ-batna.dz

معلومات المقال

الملخص:

تعد قصص الأطفال جنساً من أجناس أدب الطفل، يمتلك مقومات فنية خاصة، ويقوم على مجموعة من الأحداث المترابطة، مستوحاة من الواقع أو الخيال، تدور في بيئة زمانية ومكانية، وتمثل قيماً إنسانية شتى، تفضي لنهاية يتوجب أن تكون خيرة. وقصص الأطفال وسيلة تربوية تعليمية محببة، تهدف إلى غرس القيم الإيجابية في نفوس جمهوره، وإشباع بعض احتياجاتهم النفسية، والإسهام في توسيع مداركهم وإثارة خيالهم، والاستجابة لميولهم في المغامرة والاستكشاف. ويُعد هذا الفن أبرز فنون أدب الطفل، وأكثرها انتشاراً. وسنحاول في هذه الدراسة تحليل قصة (الغياب المفاجئ) من منظور اللسانيات

تاريخ الارسال:

2021/04/25

تاريخ القبول:

2021/05/17

الكلمات المفتاحية:

- ✓ قصص الأطفال ،
- ✓ مبدأ الكم
- ✓ مبدأ الكيف،
- ✓ مبدأ العلاقة

* المؤلف المرسل .

التداولية، وذلك من خلال تطبيق مبدأ الاستلزام الحوارى وقواعده الأربعة.

Abstract :

Children's stories are considered as one of children's literature genres that is governed by special artistic elements, and based on a set of interconnected events, inspired by reality or fiction that take place in a temporal and spatial environment, and represent various human values with a meaningful end. Children's stories are educational tools that aim to instill positive values in the readers' mind, satisfy some of their psychological needs, contribute to expanding their perceptions and improve their imaginations, and enrich their sense of adventure and exploration. Children's literature is the most prominent and well-known child literary art. Hence, in this study, we will try to analyze the story of (the sudden absence) from the perspective of pragmatic linguistics, based on the principle of dialogue entailment and its four rules

Article info

Received

25/04/2021

Accepted

17/05/2021

Keywords:

- ✓ Children's Stories.
- ✓ the Quantum Principle.
- ✓ the Quality Principle.
- ✓ the Relationship Principle

مقدمة:

يعد الاستلزام الحوارى «واحداً من أهم الجوانب فى الدرس التداولى، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلائلى، وعلى الرغم من ذلك فليس له تاريخ ممتد، إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التى دعا غرايس (H.P.GRICE)- وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصص فى دراسة اللغة الطبيعية (NATURAL LANGUAGE)- إلى إلقاءها فى جامعة هارفارد سنة 1976، فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس والأسس المنهجية التى يقوم عليها». (نحلة، 2002، صفحة 32)

وقد برزت القصة الطفلية كأحد أهم الأساليب ضمن إطار التربية الثقافية للطفل، وذلك لانفرادها بصفات مميزة عن سائر أنواع الفنون الأدبية الأخرى، فالقصة تمتلك القدرة الفاعلة

للتأثير في مشاعر الطفل وأفكاره، وتحمل كثيرٍ من عناصر الإثارة والإغراء له، كما أنها تنسجم بسهولة مع الطبيعة التي يولد فيها، فالطفولة كتلة من الحيوية والحركة وعالم مليء بالخيال والأحلام ومجموعة من الرغبات في البحث والاكتشاف، والانهار بالحكايات والقصص والشخصيات المثالية، والتأثر بالمغامرة والرحلات وحكايات الحيوانات، وحب للتقليد والمحاكاة، وتحمل القصة كثيرٍ من تلك الخصائص التي تستطيع بها تلبية رغبات الطفل ونزعاته والتآلف مع خصوصية الطفولة وانفعالاتها المختلفة، ولذلك فقد كانت القصة أقرب أنواع أدب الأطفال إلى نفوسهم، واستأثرت نسبة التأليف القصصي بالمرتبة الأولى بين الأنواع الأدبية الموجهة للطفل، ويمكن تعريف قصة الأطفال بأنها وسيلة تربوية وتعليمية وأخلاقية، تعمل على تطوير مهارات الطفل في القراءة والملاحظة والمقدرة على التعبير وتُسهم في ترسيخ القيم الإيجابية لديه، وتأتي لإشباع عديد من حاجاته الفكرية والنفسية، فتستجيب لميوله في المغامرة والمعرفة وتعمل على توسيع آفاق خياله ومدارات تفكيره وفي إثراء حصيلته اللغوية، وإكسابه المعارف والخبرات في كثير من ميادين العلوم. (معوض، 2013) وسنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن الاشكالية التالية، إلى أي مدى يسهم الاستلزام الحواري في فهم القصص الموجهة للطفل؟ ماهي الآليات الحوارية الموظفة في الخطاب القصصي الموجه للطفل؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التداولي وذلك من خلال تطبيق جملة من المبادئ التي تندرج ضمن نظرية الاستلزام الحواري، وهذه المبادئ تتمثل أساساً في مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.

أولاً: مفهوم الاستلزام الحواري:

1- لغة: جاء في معجم (OXFORD) مصطلح (IMPLICATUR) الذي أُشتق من الفعل (IMPLICARE) وهو يوحي إلى شيء مضمّر (IMPLICIT) وهو التضمين بمعنى التلميح أو الإيحاء دون تصريح، والفعل (IMPLY)، بمعنى يلمح، يضمن ويُضمّر، وهو التلميح بأن شيئاً ما هو حقيقة أو الاحساس بشيء دون تصريح مباشر. (hornly, 2010, p. 650)

كما جاء في معجم (N'OBEL BILINGE) بمعنى ضمني ومضمّر، الذي اشتق من الفعل (IMPEQUE) بمعنى يتضمن. (C, 2011, p. 47)

نلحظ من خلال هذين التعريفين لمصطلح الاستلزام (IMPLICATURE)، أن غرايس ينطلق من فكرة مفادها أن معظم عبارات اللغة تحمل بالإضافة إلى معناها الحرفي المباشر معنى آخر مضمراً، تتحدد دلالاته داخل السياق الذي يرد فيه.

2- اصطلاحاً:

يُعرف الاستلزام الحوارى بأنه «عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية» (اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، 2007، صفحة 78)، ويعرفه غرايس بقوله: «هو ما تم الاتصال به أكثر ممّا قيل ولا يعبر عن حقيقة المقول» (Neveu, 2010, p. 92).

«لقد كانت نقطة البدء عند غرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون، ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال (WHAT'S SAID) وما يقصد (WHAT'S MEANT)، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية (FACE VALUES)، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال فأراد أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح (EXPLICIT MEANING) وما يحمله من معنى متضمن (INEXPLICIT MEANING) فنشأت فكرة الاستلزام (IMPLICATURE)». (نحلة، 2002، صفحة 32)

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الاستلزام هو مبحث إجرائي يسهم في إنتاج الخطاب، ويعتمد على قدرة المتكلم في أن يعني كلامه أكثر مما يقوله، أي أكثر مما تؤديه العبارة من معاني أصلية في ارتباطها بسياقات إنجازها ويتطلب هذا تأويلاً يعتمد على القدرات الفكرية، لأن المتكلم ينقل خطابه إلى مخاطب يفترض مسبقاً امتلاكه قدرات تمكنه من إدراك المعاني غير المباشرة.

وقد نظر غرايس فرأى أن الاستلزام نوعان: استلزام عرفي (CONVENTIONAL IMPLICATURE) واستلزام حوارى (CONVERSATIONAL IMPLICATURE)، فأما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. (نحلة، 2002، صفحة 33)

وقد ذهب غرايس للمقارنة بين أمثلة من قبيل «يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق» و«تدل البثور المنتشرة على جلد زيد على أنه يعاني من مرض جذري الماء» بأمثلة من قبيل «أن يقول زيد لعمر إن غرفتك زريبة خنازير فإنه يقصد أن غرفة عمر وسخة وغير مرتبة»، وتوافق الأمثلة الأولى الدلالة الطبيعية فهي ظواهر وضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها، وتوافق الأمثلة الثانية دلالة غير طبيعية فهي صلة قائمة بين محتويات يريد القائلون إبلاغها والجميل التي استعملوها لإبلاغها». (آن و موشلار، 2003، صفحة 53)

ويعرف غرايس الدلالة غير الطبيعية بقوله: «أن تقول إن القائل قصد شيئاً ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته، ويرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطاً وثيقاً بأحد معاني الفعل الإنجازي (TO MEAN) وهو المعنى الذي نترجمه للفرنسية إلى (قصد) (VOLOIR DIRE)، وهكذا يشدد غرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا». (آن و موشلار، 2003، صفحة 53)

ثانياً: خصائص الاستلزام الحوارية:

ويمكن إجمال خصائص الاستلزام الحوارية فيما يلي: (نحلة، 2002، الصفحات 38-40)

- قابليته للإلغاء (DEFESIBLE): ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسدُّ الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتبٍ مثلاً: لم أقرأ كل كتبك فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أنني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام، وإمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى الصريح والمعنى الضمني، وهو الذي يمكن المتكلم من أن ينكر ما يستلزمه كلامه.
- الاستلزام لا يقبل الانفصال (NON-DETACHABLE) عن المحتوى الدلالي: ويقصد بذلك أن الاستلزام الحوارية متصل بالمعنى الدلالي لم يقل لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى تراد فيها، ولعل هذه الخاصية هي التي تميز الاستلزام الحوارية عن غيره من أنواع الاستدلال التداولي مثل الافتراض السابق، ونوضح ذلك بالمثال التالي:

1- لا أريد أن تتسلي إلى غرفتي على هذا النحو.

- 2- أنا لا أتسلل بل أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.
- فعل الرغم من تغير الصياغة في القول (2) فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً.
- قابليته للتغير: وتغير الاستلزام يعني أن العبارة الواحدة يمكنها أن تؤدي إلى استلزامات متغيرة ومختلفة باختلاف السياقات التي ترد فيها، ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي:
- فإذا سألت طفلاً يحتفل بيوم ميلاده، كم عمرك؟ فهو طلب للعلم وإذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمس عشرة سنة، فقد يستلزم السؤال التوبيخ، أي توجيه النقد لتصرف لم تقبله من هذا الشخص، وإذا سألت السؤال نفسه لفتى يمنع من اتخاذ قرار لا يخرج عن تعاليم الدين وموضوعات الأخلاق والأعراف فقد يعني ذلك أنه من النضج بحيث يستطيع أن يتخذ قراره ويتحمل عواقبه.
- نلاحظ من خلال الأمثلة السابقة تعدد حالات الاستلزام وهذا نظراً للسياق الذي يرد فيه فمن طالب للعلم إلى توبيخ إلى تحمل المسؤولية.
- الاستلزام يمكن تقديره CALCULABILITY: والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام.
- ويكون ذلك في مثل العبارات المجازية حينما ينطلق المخاطب من الصيغة الحرفية للعبارة التي سمعها ليصل إلى المعنى الضمني الكامن وراء تلك الصيغة.
- وبعد أن قام غرايس بتحديد خواص الاستلزام الحوارية، حاول أن يجد إجابة عن الإشكال الذي يشغله وهو: كيف يمكن للمتكم أن يقول شيئاً وهو يعني شيء آخر؟ وكيف يمكن للمخاطب أن يسمع كلاماً ويفهم غير ما سمعه؟ وللإجابة على هذه الإشكاليات اقترح مبدأً عاماً مشتركاً بين المتكلم والمخاطب سماه مبدأ التعاون.
- ثالثاً: ظاهرة الاستلزام الحوارية في البلاغة العربية:
- لفتت ظاهرة الاستلزام الحوارية انتباه اللغويين العرب القدماء، ليس من حيث كونها مفهوماً وإنما بوصفها إشكالاً دلاليًا، يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب لذا طرحت جملة اقتراحات لوصفه واستقصائه وخاصة في علمي البلاغة والأصول، بيد أن هذه الاقتراحات بقيت في نطاق ملاحظة "الظاهرة" والتمثيل لها، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين العلوم المعنية كالأغراض

التي تؤدها الأساليب ودلالة المفهوم والمعنى المقامي والمعنى الفرعي، وسنمثل لظاهرة الاستلزام الحوارية في التراث العربي بما ورد عند البلاغين وبخاصة السكاكي والجرجاني.

- السكاكي:

إن الدّارس لكتاب مفتاح العلوم يلحظ أن السكاكي في دراسته للعبارة اللغوية وذلك بالنظر إلى البنية المكونة لها، قد انتبه إلى أنه أحياناً يتم خرق أحد شروط إجراء المعنى على أصله (الصريح) وذلك بالاعتماد على المقامات التي تؤدي فيها (السياق)، وقد تناول هذه الظاهرة ضمن المعنى الذي قسمه إلى معنى صريح ومعنى مستلزم، وهذا انطلاقاً من حديثه عن الدلالة الوضعية والدلالة العقلية.

فالمعاني الصريحة عند السكاكي تتجسد في الدلالة الوضعية للفظ، وفي هذا الصدد يقول «لا شبه في أن الألفاظ متى كانت موضوعاً لمفهوم، أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان، بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية». (السكاكي، 2000، صفحة 437) أما المعاني المستلزمة فتظهر على مستوى الدلالة العقلية وهذا «متى كان لمفهومها ذلك، ولتسميه أصلياً، تعلق بمفهوم آخر، أمكن أن تدل عليه بواسطة ذلك التعلق بحكم العقل، سواء أكان ذلك المفهوم الآخر داخلياً في مفهومها الأصلي، كالسقف مثلاً في البيت، ويسمى هذا دلالة التضمن، ودلالة عقلية أيضاً أو خارجاً عنه، كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضاً». (السكاكي، 2000، صفحة 437)

تعد الاقتراحات التي قدمها السكاكي لتحليل ظاهرة الاستلزام الحوارية، على درجة عالية من الدقة والشمولية «وهذا يدل على أن الرجل كان على وعي كبير بأن الاستلزام الحوارية، لا يمكن أن توضع له ضوابط وقواعد محددة، على اعتبار أن الكلام يتغير بتغير السياق الذي يؤدي فيه، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بلحظة الخطاب» (أدراوي، 2011، صفحة 39)

- الجرجاني:

يلحظ الباحث في دلائل الإعجاز أن الجرجاني لم يغفل عن ظاهرة الاستلزام الحوارية، وقد ربطها بقضية المعنى ومعنى المعنى، وفي هذا الصدد يقول: «أن تقول المعنى ومعنى المعنى، وتعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من

اللفظ معنى ثم يفضي بك المعنى إلى معنى آخر.¹ نلاحظ أن الجرجاني من خلال هذا القول يميز بين المعنى الصريح الذي تفيدُهُ اللفظة وبين المعنى المستلزم الذي تخرج إليه دلالة اللفظة. وقد خصص الجرجاني فصلاً من كتابه دلائل الإعجاز بعنوان «في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره» يقول: «واعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفناً لا إلى غاية، إلا أنه في اتساعه يدور على شيئين: الكناية والمجاز، والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه، في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه (...) وأما المجاز فقد عوّل الناس في حده على حديث النقل، وأن كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز» (الجرجاني، 2000، صفحة 238)

رابعاً: تداولية الاستلزام الحوارية في قصة الغياب المفاجئ

سنحاول في هذا المبحث تطبيق جملة من المبادئ التي تندرج ضمن نظرية الاستلزام الحوارية، وهذه المبادئ تتمثل في مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، فقد «بلور غرايس مبدأ واحداً سماه مبدأ التعاون، (COOPERATIVE PRINCIPLE) وكان ذلك في بحثه الموسوم "المنطق والحوار"، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يركز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه، وصاغه على النحو التالي: ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار». (الشهري، 2004، صفحة 90)

«فبين أن هذا المبدأ يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل دخولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء الكلام، ولقد فرّع غرايس على مبدئه في التعاون قواعد تخاطبية مختلفة قسّمها إلى أربعة أقسام يندرج كل قسم منها تحت مقولة مخصوصة، وهي الكم والكيف والإضافة (أو العلاقة) والجهة» (يول، 2010، صفحة 213)، وهو مبدأ يركز على ضوابط تحكمه وقواعد يدركها كل من المتكلم والمخاطب.

ويرى غرايس «أن المتكلم في التخاطب والتواصل بشكل عام يجنح نحو التعاون مع محاوره قصد إنجاح المحاوره، وتقضي فرضية غرايس أن المخاطب يستند على هذا التعاون للقيام

باستدلالات غير برهانية. إن سلوكيات المتكلم في التواصل إذا كانت متعاونة، فهي كذلك لسبب أساس هو أنها نتيجة سلوك عقلاني، وهكذا نجد أن المتكلم بتعاونه يتبنى سلوكاً عقلانياً محدداً باحترامه أو خرقه لقواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التعاون». (اجعيط، 2012، صفحة 76) «وأدرك غرايس أن هناك حالات كثيرة يخفق فيها الناس في مراعاة القواعد واحترامها، وقد نشأ هذا الاخفاق عن تعمد الكذب وخداع الآخرين أو عدم القدرة على التعبير عن المقاصد من وراء الكلام تعبيراً واضحاً وناقش غرايس مثل هذه الحالات، ولكنه صبَّ جل جهده على الحالات التي يعجز فيها المتكلم عجزاً بيئياً عن ملاحظة القواعد رغبةً منه في حث المستمع على أن يلحظ معناً إضافياً يختلف عن المعنى الذي تعبر عنه كلماته». (اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، 2007، الصفحات 88-89)

ويتحقق الاقتضاء التخاطبي بطريقتين: (اسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، 2007، صفحة 89)

فأما الأولى فهي الامتثال لقواعد التخاطب ومراعاتها، أي التزام القواعد الأربعة دون الخروج عنها، وأما الطريقة الثانية فهي الخروج عن قواعد التخاطب وكسرها أو ما يسميها "بالخرق"، «فانتهاك مبادئ الحوار (FLOUTING OF MASCINS) هو الذي يولد الاستلزام، مع ملحظ شديد الأهمية هو الاخلاص لمبدأ التعاون بمعنى أن يكون المتكلم حريصاً على إبلاغ المخاطب معنى بعينه وأن يبذل المخاطب الجهد الواجب للوصول إلى المعنى الذي يريده المتكلم، وألا يريد أحدهما خداع الآخر وتذليله». (نحلة، 2002، الصفحات 35-36)

أولاً: مبدأ الكم (QUNTITY)، أو قاعدتنا كمّ الخبرة، وهما: (يول، 2010، صفحة 68) لتكن إفادتك المخاطب قدر الحاجة. أي أنه يجب الابتعاد عن الإطناب الممل الذي قد يؤدي إلى غموض المعنى .

- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب، أي أنه يجب توخي الإيجاز في القول المذكور. تقتضي هاتان القاعدتان إفادة المخاطب على قدر الحاجة، إذ في تجاوز القدر المطلوب تشتت تفكير الطرفين وحيلولة دون الوصول إلى حل الخلاف الذي يعد جوهر المواجهة. ونمثل لهذه القاعدة بالحوار الذي جرى بين الصبي أحمد وجاره: (حجازي، 2010، صفحة 1)

- يقول أحمد: أئها الجار الطيب... أراك تقترب من مصيرك... لأن السنين أخذت منك مأخذها... فهلا شعرت بالخوف والوجل، وأنت على هذه الحال؟

- جاره: أراك تمزح يا هذا؟؟

إن معرفة الموت بميقاتها وزمانها ومكانها...؟؟ طبعاً لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .
فما هذا الكلام اللامسؤول الذي تتفوه به.

في هذا الحوار خرق وخروج عن مبدأ الكم، حيث إن الجار شعر بالغضب من سؤال أحمد، ولم تعجبه طريقة طرحه للسؤال مما دفعه للانفعال، هذا الانفعال أدى به لتجاوز الحد المطلوب في الإجابة، فبدل أن يجيب بالقول: إن الموت قضاء وقدر أو إن الموت أمر غيبي، فذهب ل طرح الاستفهام تارة وللتعجب تارة أخرى، فبدأ إجابته بالقول: أراك تمزح يا هذا؟ ثم انتقل للقول :
فما هذا الكلام اللامسؤول الذي تتفوه به؟

فالجار في هذا الموضوع تجاوز الحد المطلوب في الإجابة وذلك بكثرة كلامه وخروجه عن موضوع السؤال، إضافة إلى أنه تعدى القدر المطلوب في إفادة المخاطب (أحمد) كونه طفل صغير ولا يجب إحراجه بمثل هذه الأسئلة، فبدل أن تكون إجابة الجار تحمل في طياتها النصح واللين جاءت حاملة للغلظة والشدّة في القول. فهذا العدول في كمية الألفاظ لبيان المعنى المراد إيصاله هو خروج عن مبدأ الكم.

ثانياً: مبدأ النوع: (Qualité): أو قاعدتنا كيف الخبرية، وهما:

- لا تقل ما تعتقد كذبه.

- لا تقل شيئاً يعوزه عندك دليل كاف بمعنى لا تقل ما ليس لك عليه بينة.

وقوام هذه القاعدة التركيز على الكيفية التي سيق بها الخبر في مستويي الصدق والبيئة، مع محاولة المرسل جعل إسهامه من النوع الذي يوسم بالصحة والبيئة. ويمكن القول إن مبدأ الكيف يهدف إلى قول الصدق والحقيقة، ونبذ الكذب وادعائه ومنع قول الباطل أو التلفظ بأي كلام ليس عليه أي دليل يثبت صحته.

وفي الحوار الذي دار بين أحمد وجاره والمتمثل في: (حجازي، 2010، صفحة 2)

- أحمد: أنا لا أعتب عليك أيها الجار الفاضل الكريم، لكن هذه معرفتي التي اكتسبتها من السيد ميزان، حين التقيت به...؟

- الجار: التقيت بالذي يسمونه ميزان ؟

إنه- وسامحي أن أقول لك فيه- أبعد الناس عن الميزان والقسطاس والمعرفة.

إنه رجل مراوغ كذاب، كيف لك أن تسمعه ؟

ألم تقرأ ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في الكَذَابِ؟...إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا؟

أنصحك ان لا تسمعه مرة أخرى، فلو كان ناصحا لغيره؟...لكفاه أن ينصح نفسه؟

- أحمد: سمعت من الناس مثل هذا الكلام عنه؟

ولكن لم أكن أعلم حقيقته... فعلا إنه إنسان مراوغ... مثل هؤلاء الناس لا يحق للمرء أن يتحدث عنهم... ولا حتى أن يعرفهم.

إنهم أجزموا في حق أنفسهم، خاصة حين خرجوا عن الحق.

لقد قيل لي إنه لا يصلي، ولا يخاف الله.

سامحي أيها الجار العزيز فالمسامح كريم .

نلاحظ في هذا الحوار انتهاك وخرق مبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول المخاطب ما يعتقد صوابه، وأن لا يقول ما ليس له دليل يقول ملا دليل له عليه، وقد انتهك أحمد في محاورته لجاره هذه القواعد، كونه اعتمد على كلام السيد ميزان الذي لم يكن من الثقات، إضافة إلى أن أحمد سمع عن السيد ميزان أشياء غير سارة، وبالتالي فإن أحمد قد انتهك قواعد هذا المبدأ باعتماده كلام السيد ميزان، هذا الكلام الذي ليس له عليه دليل ولا بينة، مما جعله فيما بعد يستدرك ذلك بقوله (ولكن لم أكن أعلم حقيقته...فعلا إنه إنسان مراوغ...مثل هؤلاء الناس لا يحق للمرء أن يتحدث عنهم)،

إنَّ عدم معرفة السيد ميزان على حقيقته جعلت من الصبي أحمد يقول كلام ليس له عليه دليل في الواقع.

ثالثا: مبدأ العلاقة (RELATION): أو قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال وهي:

- ليناسب مقالك مقامك أي أن تكون وثيق الصلة بالموضوع. (يول، 2010، صفحة 68)

"فلا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكريين مقام الشكاية، ومقام التهينة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الدّم ومقام الترغيب يباين مقام التهيب، ومقام

الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا الكلام ابتداءً يغيّر مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغيّر مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغيّر مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر" (السكاكي، 2000، صفحة 256)

إن مبدأ العلاقة يتجلى في مراعاة المقال للمقام، أي وجود التلاؤم بينهما وهي بمثابة حد مقصدي والهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب أي يراعي علاقة المقال للمقام، وهذا المبدأ يتطابق مع أسلوب الحكيم الذي تكلم عليه البلاغيون في مصنفاتهم وهو صرف كلام المتكلم أو سؤال السائل عن المراد منه وحمله على ما هو الأولى بالقصد أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد. (محمد، 1441، صفحة 18)

نلاحظ تعدد مقتضيات نظم الكلام وتنوعها فالتكلم ليس حرّاً تماماً في إنتاجه لجملة وخطاباته، حيث يخضع لمقام السامع وما يكتنفه من أحوال حتى يحقق الفائدة المرجوة من تلفظه بالخطاب، وفي الحوار الذي جرى بين أحمد وجاره، حينما جاء أحمد لجاره قائلاً: أيها الجار الطيب ... أراك تقترب من مصيرك (حتفك) لأن السنين أخذت منك مأخذها، فهلا شعرت بالخوف والوجل وأنت على هذا الحال؟ (حجازي، 2010، صفحة 3)

نلاحظ من خلال فحصنا لهذا السؤال أن أحمد لم يراع حال السامع وخصوصياته، فبين من خلال كلامه أن الجار يتبع الطريق الخطأ ويحيد عن سبيل الرشاد.

رابعاً: مبدأ الحال أو قواعد جهة الخبر: وهي : (عبدالرحمان، 1998، الصفحات 238-239)

- لتحترز من الالتباس.

- لتحترز من الإجمال.

- لتتكلم بإيجاز.

- لترتب كلامك.

ومدار اختلاف هذه القاعدة على القواعد الأخرى هو أنها لا ترتبط بما قيل، بل بما يراود قوله والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول، فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي تعبر عنها بـ "التزام الوضوح". (أدراوي، 2011، صفحة

100) وبفحصنا للحوار الذي جرى بين أحمد وجاره نلاحظ أن هنالك خرق لقواعد جهة الخبر وهي:

- الاحتراز من الالتباس: فالجار وقع في كثير من أقواله في الالتباس، ولم يراع حال السامع خاصة وأن أحمد لا يزال صبي ويصعب عليه فهم كثير من الأمور، ونمثل لذلك بقوله (الجار): واياك من الدنيا اياك فهي كالمرأة الجميلة في منبت السوء. (حجازي، 2010، صفحة 4)
- الاحتراز من الإجمال: نلاحظ في هذا الحوار عبارة غامضة تلفظ بها كل من أحمد وجاره، هذه العبارات تحمل في طياتها إجمالاً يحتاج إلى تفصيل وشرح لكي يحدث الفهم والافهام، ويتوصل إلى المعنى المراد ايصاله بأسهل طريقة وأحسن أسلوب.
- التكلم بإيجاز: يعرف الإيجاز بأنه « أداء المقصود من الكلام بأقل عدد من العبارات متعارف الأوساط» (القزويني، 1971، صفحة 189) وقد لاحظنا في الحوار الذي دار بين الصبي أحمد وجاره كثير من العبارات الزائدة في كثير من المواضع .
- ترتيب الكلام: يقتضي ترتيب الكلام، التنظيم وحسن التصرف في طريقة سَوِّق الأدلة، فالمحاور مطلوب منه ذلك، وإلا كان كلامه خلطاً لا طائل منه. (اجعيط، 2012، صفحة 143) ونلاحظ خروج كل من أحمد وجاره عن هذه القاعدة، خاصة وأن أحمد صبي تغيب عنه آليات الحوار، وقد اختلط عليه الأمر في عدد من المواضع.

خاتمة:

تعد ظاهرة الاستلزام الحوارية من أهم محاور التداولية، إضافة إلى هذا فهي من أبرز مميزات اللغات الطبيعية، وهذا لكونها تمثل القلب الذي تردُّ المعاني، فالاستلزام الحوارية يمثل الظاهرة اللغوية خاصة في شقها الخفي (المعاني الباطنية للحوار)، هته المعاني التي يحددها السياق التي وردت فيه العبارات اللغوية، فاللغة قد تخرج من التواصل المعلن إلى تواصل غير معلن، هذا التواصل الذي ينبنى على علاقة أو فنقل تفاهم ضمني بين المخاطب والمخاطب في فهم وتأويل الخطاب.

تنوعت آليات الاستلزام الحواري في قصص الأطفال، واستعان كتاب القصص بالمهارات اللغوية المتوفرة لديهم والأساليب السلسلة، فعمدوا إلى الحجج الواقعية والأدلة البينة، لأن هذا النوع من القصص يعد وسيلة تربوية تهيئ لها عميق الأثر في نفسية الطفل. ومن خلال تطبيقنا لقواعد الاستلزام الحواري على قصة الغياب المفاجئ، وجدنا هنالك خرق واضح لقواعد مبدأ التعاون من طرفي الحوار، فأسهم هذا الخرق تارة في إيصال المعنى في أحسن صوره وتارة في زيادة الهوة بين المتخاطبين مما خلق انعدام التواصل بين طرفي الحوار، ومرد هذا إلى ضعف القدرة على الربط والتأويل بين الأحداث. وعلى فإن مراعاة مستوى المتلقي من أهم عوامل نجاح العملية التواصلية.

قائمة المراجع:

أولا المراجع العربية

- العياشي أدراوي. (2011). *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- بو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي. (2000). *مفتاح العلوم*. لبنان: دار الكتب العلمية.
- جرج يول. (2010). *التداولية*. الرباط: دار الأمان.
- جلال الدين أبو عبدالله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان القزويني. (1971). *الإيضاح في علوم البلاغة معاني وبيان وبديع*. لبنان: دار الكتب العلمية.
- روبل أن، و وجاك موشلار. (2003). *التداولية اليوم على جديد في الواصل*. لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- صلاح اسماعيل. (2007). *نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس*. القاهرة: دارقباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- طه عبد الرحمان. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عبد القاهر الجرجاني. (2000). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: مكتبة الخانجي القاهرة.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). *استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية*. لبنان: دار الكتب الجديد المتحدة.
- محمد المبارك حجازي. (2010). *الغياب المفاجئ*. الجزائر: دار المعرفة.
- محمد عبد الرحمان محمد. (جمادة الاول، 1441). *الاستلزام الحواري في القصص النبوي*. مجلة كلية العلوم الإسلامية، 18.

- محمود أحمد نحلة. (2002). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- نور الدين اجعيط. (2012). *دوليات الخطاب السياسي*. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ثانيا المراجع الأجنبية
- C, C. (2011). *Dictionnaire nobel bilingue Français - Arabe*. wilay D'Alger: PAR E ltab Elhadith.
- hornly, A. (2010). *Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English*. Oxford ELT: unir press.
- Neveu, F. (2010). *Dictionnaire desienos du langage*. Paris: MAIN SERIES Dictionnaire.
-